

الدرس السادس والعشرون

رواية جدعون

بصفتها النقطة المركزية لسفر القضاة

قضاة 3: 7-16: 31

ملاحظة: نشرت هذه المقالة تحت نفس العنوان في *BibSac* في عام 1992 [انظر J. Paul Tanner, "The Gideon Narrative as the Focal Point of Judges," *Bibliotheca Sacra* 149: 594 (Apr-Jun 1992): 146-61]. والمادة المقدمة هنا هي نفس المادة الواردة في المقالة الأصلية، مع بعض التغييرات الطفيفة في التنسيق لكي تتناسب مع أسلوب هذه الملاحظات.

1. مقدمة

على الرغم من الاعتراف بفخامة الشعر العبري منذ زمن بعيد، إلا أنه لم يُعطِ اهتمام كافٍ للرواية الأدبية العبرية. غير أن العقود الثلاثة الأخيرة شهدت نقلة كبيرة في الاهتمام بجانب بنية الرواية العبرية وأسلوبها. وقد أثبتت الدراسات أن الروايات السردية العبرية القديمة أُلِّفت بعناية، واستُخدمت فيها تقنيات أدبية متطورة راقية.¹ وإن أحد الوجوه المثيرة للاهتمام لهذا الفن الروائي هو ترتيب بنية العمل الأدبي بواسطة استخدام الأنماط النصية.²

تقدّم هذه المقالة دراسة بلاغية للبنية في الرواية العبرية، التي يمكن أن نطلق عليها تسمية "التنميط النصي" (Textual Patterning)، أي استخدام الأنماط في النص. ثم سأقوم بتطبيقها على سفر القضاة، خاصة على رواية جدعون في قضاة 6-8، حيث إن هذا القسم

¹ تجد عدة معالجات بارزة للفن الروائي في Robert Alter, *The Art of Biblical Narrative* (New York: Basic Books, 1981); Shimon Bar-Efrat. *Narrative Art in the Bible*, JSOT Supplement Series 70 (Sheffield Almond, 1989); Adele Berlin, *Poetics and Interpretation of Biblical Narrative* (Sheffield Almond, 1983); Robert Scholes and Robert Kellogg, *The Nature of Narrative* (New York: Oxford, 1966); and Meir Stemberg, *The Poetics of Biblical Narrative: Ideological Literature and the Drama of Reading* (Bloomington, IN: Indiana University Press, 1985).

² لنقاش أكثر شمولاً لهذا الموضوع، انظر دراستي "Textual Patterning in Biblical Hebrew Narrative A Case Study in Judges 6-8" (PhD diss., University of Texas at Austin, 1990), hereafter referred to as "Textual Patterning."

يشكل النقطة المحورية للسفر. وتسعى هذه المقالة أيضاً إلى إيضاح أهمية هذا البحث بالقول إن الترميز النصي (استخدام الأنماط في النص) في رواية جدعون يسهم في الرسالة اللاهوتية للسفر.

2. الترميز النصي في الرواية العبرية

بسبب خلفية المناهج النقدية التقليدية للكتاب المقدس العبري، شهدت العقود الثلاثة الأخيرة بروز الحاجة إلى نهج توفيقى للنص، على خلفية المناهج الانتقادية التقليدية للأسفار العبرية. فقد أدى الاهتمام بالشكل القانوني للنص إلى اكتشاف حالات متكررة تم فيها تشكيل النص العبري وتميطه من حيث البنية. وقد أسفرت نتائج مثل تلك المناهج عن بعض التوازن في الأساليب الانتقادية التاريخية المتطرفة، وبيّنت أيضاً أن الترميز البنيوي للنص يمكن أن يكون مفتاحاً هاماً في فهم التوكيد اللاهوتي للرواية.

وظف بعض الباحثين، في نهجهم التوفيقى في تناول الرواية السردية العبرية، الأسلوب المعروف باسم "التركيبية" أو "البنوية".³ ويجب أن يميّز هذا النهج الذي برز من ميدان النقد الأدبي الديني عن النهج المتناول هنا، لأن "التركيبية" أو "البنوية" لا تركز على الجوانب السطحية الرسمية التي تحدد بنية النص. وفضلاً عن ذلك، فإنها لا تهدف إلى تفسير النص، مُنقصةً بذلك من فائدته كما عند معظم الباحثين النقاد. وبشكل عام فإن "التركيبية" أو "البنوية" تعاني من العبثية الكامنة وراء محاولة فرض أسلوب أدبي غربي محض على نصوص شرقية قديمة بدلاً من استنباط الأساليب المتبعة بطريقة موضوعية.

غير أن دراسة النقد البلاغي ترتبط بملاحظة التركيب الشكلي الظاهر للنصوص الروائية. وعلى الرغم من أن النقد البلاغي ليس مقصوداً على هذا الأمر، إلا أنه يشمل على الأقل. وكما يتصور جيمس مولنبرغ، الباحث الرائد في هذا المجال من الدراسة، فإن النقد البلاغي مهم بمسائل أسلوبية كثيرة جداً، خاصة السمات الفريدة لأية رواية (وقد اعتبر مولنبرغ أن عدم الالتفات إلى السمات الفريدة عيب من عيوب "النقد الشكلي").⁴

³ من أجل مؤلفات مرتبطة بموضوع "التركيبية" أو "البنوية"، انظر David Jobling, *The Sense of Biblical Narrative: Structural Analyses in the Hebrew Bible I*, 2nd ed., JSOT Supplement Series 7 (Sheffield: JSOT Press, 1986), 98-101.

لمعالجة جيدة لموضوع "التركيبية" أو "البنوية"، انظر J. Culler, *Structuralist Poetics* (Ithaca, NY: Cornell University Press, 1975).

لدراسة تحليلية ونقدية للتركيبية وتطبيقها في الكتاب المقدس، انظر D. C. Greenwood, *Structuralism and the Biblical Text* (Berlin: Mouton, 1985); T. J. Keegen, *Interpreting the Bible: A Popular Introduction to Biblical Hermeneutics* (New York: Paulist, 1985), 40-72; and J. Barton, *Reading the Old Testament: Method in Biblical Study* (Philadelphia: Westminster, 1984), 104-39, 185-94.

منظور إنجيلي، انظر Carl E. Armending, *The Old Testament and Criticism* (Grand Rapids: Eerdmans, 1983) and Trempen Longman III, *Literary Approaches to Biblical Interpretation* (Grand Rapids: Zondervan, 1987).

⁴ James Muilenburg, "From Criticism and Beyond," *Journal of Biblical Literature* 88 (March 1969): 1-18.

يشير النقد البلاغي إلى مجموعة كبيرة من السمات الأدبية، بما فيها تكرار المفردات (وأشبهه الجمل والجمل والأفكار)، والتماثل في العبارات الافتتاحية والختامية والتصالب (Chiasm)، والتركيب الأدبي، والمواضع الاستراتيجية للحروف والأدوات (أل التعريف مثلاً)، واستخدام التوازي، والتلاعب بالكلمات، والجناس، ومن هنا فإن النقد البلاغي نهج توفيفي مختص بأمور الأسلوب والتركيب والنسيج. إن "التميط البلاغي" مصطلح يشير إلى استخدام الأنماط "التركيبية" أو "البنوية" في النص الكتابي.

لاحظ الباحثون عدداً من الأنواع الشائعة من الأنماط النصية: التناوب، التركيبي الحلقي أو الدائري، التماثل في العبارات الافتتاحية والختامية، والتصالبات، والتوازي، والميل إلى الانكفاء الذاتي، ووحدة المراكز.⁵ هذه الأنماط هامة من نواحٍ كثيرة. أولاً، إنها مفيدة في توكيد روابط الوحدة الأدبية. ثانياً، يمكن لنمطي الانكفاء الذاتي ووحدة المراكز أن يشير إلى النقاط الهامة في الوحدة الأدبية أو أن يحدد نقطة التحول في تطور الحكمة. ويمكن لاستخدام نمط التماثل في العبارات الافتتاحية والختامية أن يعطي توكيداً على أمر معين فحسب، لكن يمكن أن يكون استخدامه كإطار لوحدة أدبية مفيداً أيضاً في تمييز الأنماط النصية ضمن الوحدة.

يمكن أن يكون التمييط النصي بسيطاً أو معقداً. فعلى سبيل المثال، قد تكون عناصر التوازي تكرارات لفظية (لكلمة أو لشبه جملة أو جملة)، لكنها غالباً ما لا يتحقق منها إلا بتجريد تطور الحكمة أو تلخيصها.⁶ غير أنه حتى تلخيصها قد يتضمن تكرارات للكلمة أو شبه جملة أيضاً. وبالإضافة إلى هذا التنوع في طريقة تشكل التوازيات، فإنه يمكن أن ترد في النص تراكيب معقدة ومتعددة. وقد يتضمن هذا أنماطاً غير متماثلة حيث يكون هنالك كسر للتماثل بغرض إبراز شيء لتوكيده.

وعلى الرغم من الوجود الواضح لحالات من التمييط النصي (استخدام الأنماط الأدبية) في الأسفار العبرية، إلا أن التحدي يكمن في التعرف إليها في النص.⁷ وقد يكمن المفتاح الرئيسي لهذا الأمر في طريقة إثبات وجود "حدود" للأنماط النصية.⁸ وإنه لأمر جوهري في سياق هذا الأمر أن نفهم الوحدة الأدبية التي تطلق عليها تسمية "المشهد".⁹

كتب آلان بي. روس مقدمة مفيدة من منظور إنجيلي بعنوان: Literary Analyses of the Text, "Exegesis and Exposition (Fall 1986): 5-17.

⁵ انظر أيضاً "Textual Patterning," Tanner, "74-85" وانظر أيضاً H. Van Dyke Parunak, "Oral Typesetting: Some Uses of Biblical Structure," Biblical 62 (1981): 153-68.

⁶ لقد تم إثبات هذا مثلاً على يد John H. Stek, "The Bee and the Mountain Goat: A Literary Reading of Judges 4, in A Tribute to Gleason Archer, ed. Walter C. Kaiser, Jr. and Ronald F. Youngblood (Chicago Moody, 1986), 53-86.

⁷ كتبت عدة مقالات حول هذا الموضوع، لكن في ما يلي بعضاً من أكثرها فائدة: Fokkeman, Narrative Art in Genesis: Specimens of Structural and Stylistic Analysis (Assen-Amsterdam: Van Gorcum, 1975); Jared J. Jackson and Martin Kessler, eds., Rhetorical Criticism: Essays in Honor of James Muilenberg, Pittsburgh Theological Monograph Series I (Pittsburgh: Pickwick, 1974); and Allen P. Ross, "The Description of the Nations in Genesis 11: 1-9," Bibliotheca Sacra 138 (1981): 119-38.

⁸ من أجل نقاش فني واسع وإقامة الأدلة على أساس تحديد المشاهد والنقلات، انظر Tanner, "Textual Patterning," 91-116.

⁹ المشهد حادثه ضمن القصة الكلية هي في حد ذاتها كاملة. وقد يتألف المشهد من فقرة واحدة أو أكثر، وقد يتصل بمشاهد أخرى لتشكيل قسم أكبر، انظر J. Cheryl Exum, "Aspects of Symmetry and Balance in the Samson Saga," Journal for the Study of the Old Testament 19 (1981): 12.

يمكن في العادة تحديد المشاهد بواسطة الأساليب الانتقالية المستخدمة بينها . وقد تتضمن هذه الأساليب الانتقالية عبارات زمنية (خاصة مع استخدام 1716)، أو عبارات ظرفية، وعبارات 1717، وتكراراً (لل كلمات المفتاحية أو أشباه جمل، أو أفكار هامة)، أو انتقالاً في المشهد (غالباً ما يكون مصحوباً بأفعال حركة دالة على الانتقال مثل 1718, 1719, 1720, 1721, 1722 أو حتى بفعل دال على الإدراك مثل 1723). وإنه لأمر مفهوم أن وجود مثل هذه الأدوات في النص لا يشير بشكل آلي إلى آية تشكل بداية أو نهاية لمشهد؛ فالفكرة هي أن النقات من مشهد إلى آخر غالباً ما ترد مرتبطة بهذه العوامل . وإن من شأن إدراك وجودها في النص أن يساعد المفسر على تطوير حساسية للانتقال من مشهد إلى آخر . وإن القدرة على تمييز هذه المشاهد أمر أساسي في تمييز الأنماط النصية المختلفة.

شهدت الدراسات السابقة التي أبرزت الأنماط النصية على حقيقة وجود سمات مشتركة في الغالب بين الأنماط النصية المختلفة (أي أنماط موجودة في روايات سردية مختلفة). ومن هنا فإن هناك أنماطاً شاملة، وإن من شأن هذا الواقع أن يمكننا من صياغة أسلوب للبحث عنها ودراستها . وأنا أقترح الخطوات التالية للوصول إلى ذلك:

1. تعرّف إلى الملامح التركيبية الكلية للسفر أو الوحدة الرئيسية التي يوجد فيها النص السردية.
2. قرر حدود المشهد/المشاهد . يجب أن تحدد الأساليب الانتقالية (إشارات محتملة لحدود المشهد) وتقويمها . وإن وجود التشابه في بداية النص وخاتمة أمر ذو أهمية خاصة هنا .
3. ابحث عن التمييز النصي ضمن المشهد الواحد (على أصغر مستوى) . وإن وجود التوازي بين التعابير أو أشباه الجمل أو الأفكار ذو أهمية خاصة هنا .
4. ابحث عن خطوط التوازي والصلات بين المشاهد لترى إن كان هناك نمط على أكبر مستوى .
5. تفحص الأنماط لمعرفة دلالتها وأهميتها . فسواء كان التمييز النصي موجوداً على المستوى الكبير أم المستوى الصغير، يجب أن تقوم المعطيات بعناية لكي تفهم كيف ولماذا استخدم الكاتب الأنماط.

3. البنية الكلية لسفر القضاة

يمكن النظر إلى سفر القضاة على أنه يحمل مقدّمة من جزئين (1: 1-2: 5 و 2: 6-3: 6) وخاتمة من جزئين (7: 1-18: 31 و 19: 1-21: 25). وترتبط أفكار متوازنة المقدّمة الأولى (1: 1-2: 5) بالخاتمة الثانية (19: 1-21: 25)، وبنفس الطريقة ترتبط المقدّمة الثانية (2: 6-3: 6) مع الخاتمة الأولى (17: 1-18: 31).

ويشهد الجزء الرئيسي الأكبر من السفر (3: 7-16: 31) على وجود تركيب بنوي، عن طريق استخدام متكرر للكلمات وأشباه الجمل أعطيت اسم "صبيغ نمطية". وأشهرها هي: "وفعل بنو إسرائيل الشر في عيني الرب"، التي تترأس كل رواية تقريباً ضمن الجزء الرئيسي من الكتاب. توحى هذه الصبيغ النمطية بأن الراوي نسج الأحداث المروية معاً بمهارة بغرض تقديم مسألة لاهوتية. يمكن ملاحظة سبع مجموعات سردية رئيسية ضمن الجزء الرئيسي الكبير للسفر. وتوجد أيضاً سمات توازي معينة بين هذه الروايات بحيث يعكس السفر كلاً نمطاً متناسقاً صبيغ بكل عناية.¹⁰ وفضلاً عن ذلك فإن النقطة المركزية لهذا النمط هي رواية جدعون في 6: 1-8: 32.¹¹

أ. مقدمة، الجزء الأول (1: 1-2: 25)

ب. مقدمة، الجزء الثاني (2: 2-6: 3)

ج. رواية عشيئيل (3: 7-11)

د. رواية إهود (3: 12-31)

ه. رواية دبورة وباراق (4: 1-5: 31)

و. رواية جدعون (رواية جدعون)

هـ. رواية أبيمالك (8: 33-10: 5)

د. رواية يفتاح (10: 6-12: 15)

ج. رواية شمسون (13: 1-16: 31)

ب. خاتمة، الجزء الأول (17: 1-18: 31)

أ. خاتمة، الجزء الثاني (19: 1-21: 25)

يوحى هذا الترتيب بأن رواية جدعون أسهمت بشكل فريد في التطور اللاهوتي للسفر. فمع انتقال الأمة من دورة تأديب إلى أخرى، كان هنالك انحطاط مستمر، وكانت توجد أيضاً نقلة في "نوعية" القضاة أنفسهم مع تقدم السفر. ويبدو أن رواية جدعون تشكل نقطة تحول ملحوظة.

¹⁰ أنا مدين لـ D. W. Gooding, "The Composition of the Book of Judges," *Eretz Israel* 16 (1982): 70-79. بتحديد هذا المخطط الكلي (على الرغم من

أني اختلف معه حول فهمه لبنية رواية جدعون). من أجل التوسع في مسألة المواضيع والأفكار المتوازية، انظر Barry G. Webb, *The Book of Judges: An Integrated reading*, JSOT Supplement Series 46 (Sheffield: JSOT Press, 1987).

¹¹ لتصور مختلف عن بنية سفر القضاة، انظر Dale Summer Dewitt, "The Jephthah Traditions: A Rhetorical and Literary Study in the Deuteronomistic History" (PhD diss, Andrews University, 1987). ويعود أحد أسباب ذلك إلى قائمة "القضاة الثانويين"

الذين يُطَوَّرون رواية جدعون. لنقاش حول هذا الرأي ودحضه، انظر مقالتي: Textual Patterning, "222-28).

4. بُنية رواية جدعون

تكشف دراسة رواية جدعون وجود عشرين مشهداً. وهي مشاهد لا تقدم دلائل هامة على ترميم نصي متداخل المشاهد. لكن توجد أدلة كافية على وجود ترميم نصي متداخل المشاهد، أي ترميم مبني على العلاقات بين المشاهد.¹² وتميل المشاهد إلى التجمع في مجموعات يشترك فيها مشهذان أو ثلاثة في رباط على أساس وجود فكرة مشتركة، أو عبارة مكررة، أو تشابه في البداية والنهاية، أو سمة أخرى متصلة بقواعد اللغة أو بناء الجملة تفصلها عن مشاهد أخرى. ونحن نجد أسلوب ربط المشاهد في كل الرواية، وينتج عن ذلك ثماني مجموعات من المشاهد. وفضلاً عن ذلك، عندما تُدرس هذه المجموعات من منظور أكثر اتساعاً عما سبق، يمكن اكتشاف تزاوج بين مجموعات المشاهد. ونتيجة لذلك نجد نمطاً تبادلياً أو تناوبياً من نوع أ ب أ ب للمشهد الأربعة في 6: 11-32. أما بالنسبة للمشهد الستة في 6: 33-7: 18، فنجد نمطاً موحد المراكز من نوع أ ب ج ج ب أ. وأما بالنسبة للمشهد الستة في 7: 19-8: 21، فإننا نلاحظ أن هنالك نمطاً تبادلياً أو تناوبياً من نوع أ ب ج أ ب ج.

إن النتيجة هي تقسيم كلي لرواية جدعون إلى خمسة أقسام رئيسية. وفضلاً عن ذلك، وعلى الرغم من أن هذه الأقسام تُوصَل إليها على أساس الترميم النصي، فإنها تنسجم تماماً مع مضامين الرواية. يقدم لنا القسم الأول (6: 1-10) المقدمة والإطار العام قبل ظهور جدعون لأول مرة، ويعطينا القسم الثاني (6: 11-32) تفويض جدعون بأن يكون منقذاً لإسرائيل؛ ويقدم القسم الثالث (6: 33-7: 8) الاستعداد للمعركة؛ ويروي لنا القسم الرابع (7: 19-8: 21) هزيمة الجيش المدياني؛ ويسجل القسم الخامس (8: 22-32) نهاية حياة جدعون بعد النصر على مديان. غير أن هنالك خطوط توازٍ في الأفكار بين القسمين الأول والخامس، وبين القسمين الثاني والرابع، معطية بهذا الرواية كلها نمطاً متناسقاً متماثلاً.¹³

أ 6: 1-10

ب 6: 11-32

ج 6: 33-7: 18

ب 7: 19-8: 21

¹² من أجل تحليل مفصل لقضاة 6-8، انظر Tanner, "Textual Patterning," 147-99.

¹³ من أجل التوثيق، انظر Tanner, "Textual Patterning," 188-99.

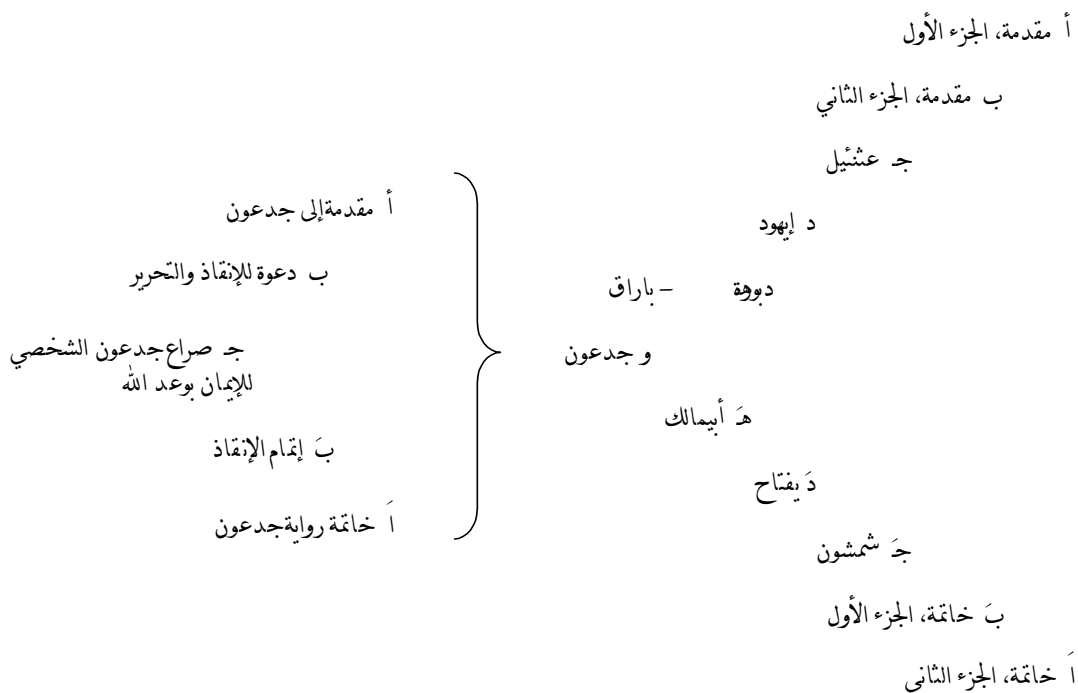
أ 8: 22-32

توجد صلات من حيث الأفكار والمضامين بين القسمين أ وأ ، ويتبع كلاهما نمط أ ب . وتوجد صلات من حيث الأفكار والمضامين بين ب و ب ، ويتبع كلاهما نمطاً تناوبياً . أما القسم المتبقي ج فله تركيب فريد خاص به يتضمن ترتيباً موحد المراكز . وهكذا يقوم النمط البنيوي الكلي لرواية جدعون بإبراز القسم الأوسط 6: 33-7: 18 والتركيز عليه .

5. تضمينات النمط البنيوي لسفر القضاة

أ. مبدأ التناسق المنظم

تقودنا دراسة سفر القضاة من خلال النهج التركيبي أو البنيوي للتنميط النصي إلى ملاحظتين: الملاحظة الأولى هي أن سفر القضاة ككل مبني على نمط قلب (عكس) متناسق تحتل فيه رواية جدعون في الأصحاحات 6-8 النقطة المركزية؛ والملاحظة الثانية هي أن رواية جدعون هي نفسها مركبة أيضاً على أساس نمط قلب (عكس) متناسق، ونقطتها المركزية هي 6: 33-7: 18 . وإنه لأمر ذو دلالة أن نفس أسلوب البناء أو التركيب الذي يميز السفر ككل يميز رواية جدعون نفسها . وتشكل الارتباطات بين الأقسام المبنية على خطوط توازٍ في الأفكار والمضامين المبدأ المنظم للترتيب المتناسق . ويمكن تصوير الأنماط التي تشكل أساس هاتين الملاحظتين كما يلي:



ب. رواية جدعون بصفتها نقطة التحوّل في سفر القضاة

تلعب رواية جدعون دور النقطة المركزية للسفر كله، لأنها تمثّل نقلة هامة في "نوعية" القضاة الذين خدموا إسرائيل. إذ يبدأ انحراف تدريجي بعثنيل ويستمر حتى شمشون.¹⁴ كان عثنيل قاضياً مثالياً تقريباً، أما شمشون فكان فرداً متمحوراً حول نفسه وخليعاً. وقد

¹⁴ لاحظ جوبلنغ أيضاً أن منصب القاضي يبدو إيجابياً في أول الأمر، لكنه يزداد سلبية مع مرور الزمن. "يبدأ القسم مصوراً نظام القضاة في حالة سليمة وفاعلة (عثنيل). ومع الانحراف المتزايد يسمح لعبوب النظام بالظهور، إذ لا يلي حكم القضاة التوقعات" (*The Sense of Biblical Narrative: Structural Analyses in the Hebrew Bible II*, 60). ثم يورد جوبلنغ أربعة أدلة على هذا المنحى السلبي. ويلاحظ أيضاً تشربل إكسم أن كل القضاة ما عدا عثنيل لا يصلحون أبطالاً حقيقيين، وأن بعض هؤلاء القادة يظهرون سلوكاً مشكوكاً فيه. "The Center Cannot Hold: Thematic and Textual Instabilities in Judges," *Catholic Biblical Quarterly* 52 [July 1990]: 412). Cf. Webb, *The Book of Judges, An Integrated Reading*, 157-58, 170-71.

استخدم الله كل قاضٍ، سواء كان قوياً أم ضعيفاً لكي ينجز إرادته السيادية ويحقق الإنقاذ للأمة الشبوقراطية.¹⁵ أما جدعون فيقف بين طرفي النقيض هذين ويمثّل نقطة التحوّل الرئيسية من القضاة "الأفضل نوعاً ما" إلى القضاة "الأضعف".¹⁶

روايات عثنييل وإهود ودبورة-باراق. قام عثنييل، أول القضاة، بتخليص إسرائيل من كوشان ملك رشعائيم في بلاد ما بين النهرين. وهذا مسجّل بطريقة موجزة مباشرة في 3: 7-11. ولا يذكر النص تصريحاً أو تلميحاً أية عيوب في طبيعته الأخلاقية. ويبدو أن النص يوضّح تماماً المبدأ الإلهي للتعامل مع الأمة الذي تمّ الحديث عنه في المقدمة الثانية في 2: 11-23. ولهذا ظهر عثنييل على المسرح أصلاً كشخصية بطولية، إذ كان قد تمّ تقديمه لنا في 1: 11-15 بصفته قريباً للبطل كالب الذي استولى على دبير (المعروفة أيضاً باسم قريات سفر). وربما تكون هنالك دلالة لبروز عثنييل من سبط يهوذا. كان القاضي الثاني إهود أعسر من سبط بنيامين، وهو يُقدّم لنا من منظور إيجابي. وكان باراق محارباً شجاعاً قاد إسرائيل إلى نصر كبير على قوات يابن، ملك كنعان. لكن ما يشوب سجّله نوعاً ما تردده في اتباع أوامر الله المعطاة له من خلال دبورة، وهذه غلطة كلفته حرمانه من أسر قائد العدو في المعركة (4: 8-9).

رواية جدعون. وبمجيء جدعون، تصبح روايات القضاة أكثر تعقيداً. ففي حين أن رواية عثنييل قصيرة جداً، فإن الروايتين التاليتين (إهود ودبورة - باراق) أطول فأطول: وبالمقارنة فإن رواية جدعون أطول بكثير، ويظل هذا هو المبدأ الحاكم بالنسبة لبقية سفر القضاة.¹⁷ وتعكس أيضاً رواية جدعون تعقيداً أكبر يتمثّل في وجود توسّع أكبر في الحديث عن جدعون كشخص ووجود ملاحظات أكثر سلبية في الرواية. وفي نفس الوقت تشكّل رواية جدعون نقلة في حالة الأمة المتدهورة في علاقتها بهوه تعكس في تعامل الله بصرامة أكبر مع الأمة. وعلى الرغم من وجود العبارة المتكررة المألوفة "وعمل بنو إسرائيل الشر في عيني الرب" في 6: 1، إلا أن رواية جدعون ليست مجرد دورة ارتداد أخرى بنفس درجة الدورات السابقة. فقد وصلت حالة ارتداد الأمة إلى نقطة أحط وأدنى، ومما يؤكّد هذا أن الرب أرسل نبياً غير مسمّى ليؤيخهم (4: 7-10) قبل أن يُقيم "قاضياً" ليعالج الأزمة المديانية.

¹⁵ من الواضح أن أيمالك استثناء، حيث إنه لم ينفذ بني إسرائيل من قوة أجنبية. غير أنه بين، بصفته قائداً، مخاطر السلالة الملكية عندما توضع القوة والنفوذ بين يدي فرد غير تقي.

¹⁶ قدّم إكسم ملاحظة مشابهة: "على الرغم من عدم وجود نمط تدرجي بشكل سلس، إلا أننا نجد نقطة تحوّل في رواية جدعون. ويكشف جدعون والشخصيات الهامة التي تليه نقاط ضعف مزعجة، إن لم يكشفوا عيوب خطيرة فيهم". (412) "The Center Cannot Hold: Thematic and Textual Instabilities in Judges," وقد بين ل. ج. ستون في الفصل السابع من أطروحته كيف أن القضاة الذين خلفوا عثنييل، بالمقارنة مع رواية عثنييل، يشكّلون انحطاطاً أو انحداراً واضحاً من ثلاث خطوات عن القضاة المنتصرين (3: 12-5: 31) من خلال شخصية انتقالية، جدعون (16-8: 28)، إلى القضاة "المأساويين" (10: 6-16: 31) (انظر Abstract of "From Tribal Confederation to Monarch State: The Editorial Perspective of the Book of Judges" (PhD diss., Yale University, 1988)).

¹⁷ تشكّل رواية أيمالك استثناء نوعاً ما لهذا المنحنى، على الرغم من أن هذا المبدأ ما يزال صحيحاً إذا أدركنا أن أيمالك، بمعنى ما، امتداد لرواية جدعون.

ويتم إبراز هذا الارتداد والتركيز عليه بواسطة التقلية في الطبيعة الأخلاقية للشخص الذي اختاره الله منقداً. لم يكن جدعون مثلاً نبيلاً بنفس درجة عثنييل سابقاً. ومن المؤكد أن ظهور جدعون كان خيراً ساراً لبني إسرائيل لأنه حقق لهم الخلاص من المديانيين (وقد تصرف ببسالة ونبل في عدة مواضع من القصة)، لكنه جاهد لكي يصدق الله، وكانت هناك عيوب في طبيعته الأخلاقية كما نرى من المواقف التالية:

عبر بشكل متشكك عن خيبة أمله في تعامل الله الحالي مع الأمة (6: 13).

تردد في قبول دعوة الله له ليكون منقداً (6: 15).

احتاج إلى علامة تؤكد أن الدعوة كانت من الله فعلاً (6: 17).

على الرغم من أنه أطاع الرب بهدمه لمذبح البعل، إلا أنه فعل ذلك ليلاً لأنه خاف من رجال القرية (6: 27).

تكشف حادثة الجزة عدم إيمانه، لأنها لم تكن إلا محاولة للحصول على تثبيت لما سبق أن عرفه فعلاً عن إرادة الله (6: 36-37)

اتخذ إجراءات انتقامية متطرفة ضد أبناء جنسه من بني إسرائيل في سكوث وفنوئيل (8: 16-17).¹⁸

لقد أسفر صنعه للأفود عن قيام الأمة بلعب دور العاهرة، مستخدمين إياها لعبادة الأصنام (8: 27).

على الرغم من أنه رفض أن يقيم حكماً ملكياً، إلا أن أعماله تبين أنه كان يشتهي هذا المجد لنفسه (8: 23-31).¹⁹

سعى إلى أن يكون له "حريم"، بالإضافة إلى اتخاذه سرية من شكيم (8: 30-31).

يمكننا أن نضيف إلى كل ذلك أن أباه كان قائد جماعة في ديانة البعل (6: 25-27). ومن الواضح أن هنالك ظلاً من الشك يخيم فوق جدعون، وأن القضاة الذين خلفوه كانوا أسوأ منه بطريقة لا يرقى إليها الشك.

¹⁸ يقول ويب موضعاً النزاع الداخلي الذي حدث تحت ولاية القاضيين جدعون وأيمالك: "إن جدعون هو أول قاضٍ يرفع سيفه على أبناء وطنه" *The Book of Judges: An Integrated Reading*, (158). استمرت مشكلة الخصام الداخلي التي بدأها جدعون في فترات ولاية القضاة أيمالك وفتح وشمشون. وعلى الرغم من أن القضاة ليسوا مرتين بالضرورة ترتيباً زمنياً، إلا أن خاتمة السفر تكشف شدة المشكلة الداخلية وعظمتها.

¹⁹ ويقول بلوك: "على الرغم من عبارة جدعون المتسمة بالقوى "لا أتسلط عليكم (لأحكامكم) (8: 23)، إلا أن تصرفاته هذه كلها توحى بالعكس. فهو يتصرف كملك شرقي، وهو وضع يُرى في اسم أيمالك ("أبي ملك") *in Israel's* (Daniel I. Block, "The Period of the Judges: Religions Disintegration Under Tribal Rule," *Apostasy and Restoration*, ed. Abraham Gilead; [Grand Rapids: Baker, 1988], 50). *Jobling, The Sense of Biblical Narrative: Structural Analyses in the Hebrew Bible II*, 58-87; Arthur E. Cundall, *Judges: An Introduction and Commentary* (Downers Grove, IL: InterVarsity, 1968), 123-24; and Dale Dewitt, "The Jephthah Traditions," 285-309.

رواية أبيمالك. من الواضح أن رواية أبيمالك تختلف عن الروايات الأخرى في السلسلة. وليس الهدف منها إظهاره "قاضياً"، بل إكمال مسألة هامة جداً طُرحت في رواية جدعون. فقد سبق أن طُرحت رواية جدعون مسألة السلالة الملكية (8: 22-23).²⁰ وهاهي رواية أبيمالك تُظهر إمكانية الشر التي يمكن أن يحملها مثل هذا الترتيب السياسي بين يدي فرد منحل يفترق إلى الكفاءة.²¹

رواية يفتاح. يبدو أن السرد يعود بنا مع رواية يفتاح إلى موضوع القاضي الفعلي، لكن تشخيصه كقاضٍ جدير ذي كرامة أمر مشكوك فيه. يقول بلوك:

"لا يجعل وصف الراوي يفتاح "جبار بأس" (جُبُور خابِلِ *gibbôr hayil*, 11: 1) مؤهلاً روحياً لدور منقذ في إسرائيل. ولقد كان مرشحاً بعيد الاحتمال للقيادة، لكونه ابناً منبوذاً عاهرة وقائداً لعصابة من قطاع الطرق في جبال جلعاد (11: 1-3). وعلى الرغم من أن حواراه مع العمونيين يعكس دهاء سياسياً ووعياً بأعمال يهوه في تاريخ إسرائيل (11: 12-28)، إلا أن مفاوضاته مع قادة جلعاد كانت مدفوعة بالطموح الاتهاري (11: 9-11). ويبدو نذره المتسرع الأهوَج قبل معركة مع العمونيين، مثل صفقة من تلك الصفقات التي يجريها الغرباء مع آهتهم الوثنية (11: 30-31).²²

وفضلاً عن أن طبيعة يفتاح الأخلاقية هي موضع شك، يؤكد التوبيخ الذي وجهه الله على تدهور الأمة، كتمهيد لتقديم يفتاح في الرواية (10: 16-10). وهذا مواز لرواية جدعون، مما يشير إلى أن ارتداد الأمة لم يكن مجرد شيء دوري متكرر. غير أن الوضع كان قد

²⁰ إن موضوع الحكم الملكي إسهام قيم آخر من رواية جدعون في اللاهوت الكلي لتثنية - 1 صموئيل. ولا يسد سفر القضاة الثغرة بين عهد موسى - يشوع وترسيخ الحكم الملكي في 1 صموئيل 8: 12 فحسب، لكن يبدو أيضاً أن سفر القضاة يتوقع مجيء الحكم الملكي. يقول جوبلينغ: "تظهر الملكية بوضوح متميز في 1 صموئيل 8... لكن قضاة 6-9 تحمل أهمية خاصة في ما يتعلق بهذا الأمر. لقد قلت إن هذا الجزء من رواية فترة القضاة يقدم السياق اللاهوتي لظهور الحكم الملكي، حيث تسجل الأصحاحات التي تناول جدعون - أبيمالك فترة سابقة أخذت فيها إسرائيل خيارها التثوي للسعي إلى إيجاد ملك لها. توجد هنا إذاً معالجة توقعية لموضوع الملكية" (*The Sense of Biblical Narrative: Structural Analyses in the Hebrew Bible II*, 66-67). وإذا كانت فترة القضاة كلها تخبرنا بشكل عام لقراءة 1 صموئيل 8-12، فإن قضاة 6-9 تقوم بذلك على نحو أكثر تحديداً. فقد ظهرت الملكية من قبل! وكان قضاة 6-9 تكيف قراءتنا لـ 1 صموئيل 8-12 مقدماً. ولأن قضاة 6-12 لا تقع تحت ضغط تصوير الحكم الملكي بشكل إيجابي، فإنها يمكن أن تستكشف بشكل كامل جوانبه المشكوك فيها "المرجع السابق، 85). فإذا كان سفر القضاة يحضر القراء بشكل عام إلى تطور الحكم الملكي في 1 صموئيل، فإنه لمن المثير جداً أن تثار هذه المسألة في رواية جدعون بالذات، والتي تشكل القسم المركزي من السفر، كما سبق أن رأينا من بنية السفر.

²¹ لاحظ جوبلينغ هذا الأمر أيضاً في سفر القضاة 6-9. "يتناول هذا القسم جوانب كثيرة من الحكم الملكي مع تمييز خاص على الشرور المحتملة. وهو يفترض أن الملكية وراثية، ويقول ويلفح كثيراً حول الوراثية وأنظمتها ومشاكلها. ومن خلال ما يقال عن كل من جدعون وأبيمالك، تتكشف لنا الأعمال السيئة التي يميز بها الملوك" (المرجع السابق، 84).

²² Block, "The Period of Judges: Religious Disintegration Under Tribal Rule," 50.

تدهور أكثر من الوضع في رواية جدعون، لأن الرب خطأ خطوة أخرى معهم: "وأتم قد تركموني وعبدتم آلهة أخرى؛ لذلك لا أعود أخضعكم. امضوا واصرخوا للآلهة التي اخترتموها، لتخلصكم هي في زمان ضيقكم" (10: 13-14).

لم يكن يفتاح، في ظل قيم التوراة، قاضياً ملائماً للأمة، غير أن هذه هي الفكرة التي يريد الكاتب إثباتها. فمع كل جولة ارتداد، بدأ أن الأمة تنحط أكثر، وصارت استجابة الله أكثر خطورة، وكان "قاضي" الأمة أقل فأقل تأهيلاً لهذا الدور. يوجد إذاً انسجام بين عدم وفاء الأمة ليهوه وتوراته و"نوعية" القاضي الذي يقيمه الله لكي يتقدمهم.

رواية شمشون. يبدو أن قيادة شمشون تجسد هذا المنحى. فقد تزوج من امرأة فلسطينية، وكان على علاقة غير شرعية مع عاهرة فلسطينية، وأحب امرأة فلسطينية أخرى هي دليلة. وقد كانت أعماله هذه كلها على نقض دعوته كذير. وبالرغم من أنه أحدث إصابات في صفوف الفلسطينيين، إلا أنه لم ينقذ الأمة من القوة الأجنبية، وفي الحقيقة لم تتبعه الأمة الشوقراطية إلى المعركة. أما القاضي صموئيل الأكثر تقوى (من خلال الصلاة التشفعية وقيادة الأمة إلى التوبة) فسيكون له امتياز رؤية هزيمة الفلسطينيين في المصفاة (I صموئيل 7). يعلق بلوك على مؤهلات شمشون كقاضي فيقول: "كان شمشون، مثله في ذلك مثل معظم القضاة الآخرين، مرشحاً بعيد الاحتمال للقيادة في إسرائيل. ويبدو أن الراوي يؤكد على أن أية إنجازات تمت كانت جميعاً بفضل يهوه. وقد تحققت برغم نقص الإنسان لا بفضل".²³

يرى وب أن قضاة 3: 7-16: 31 تمثل تحركاً سردياً معقداً واحداً تصل ذروة أفكاره ومواضيعه في رواية شمشون. يقول: "تصبح هذه المواضيع والأفكار موضع تركيز خاص في رواية شمشون الذي يلخص تاريخه الشخصي تاريخ إسرائيل في فترة حكم القضاة، خاصة في وضعه كذير (نزير *nazir*) مفترض أن يكون منفصلاً مخصصاً لله، في ضوء تهافته على نساء أجنبيات، ودعوته باسم يهوه."²⁴

وهكذا فإن الرواية المتعلقة بالقضاة في الجزء الرئيسي من السفر تعكس تدهوراً أكيداً، وتمثل رواية جدعون نقطة التحول في هذه السلسلة. وتوجد حقيقتان تبرزان هذه الملاحظات: (أ) الرتيب التركيبي للنص (نمط قلب متناسق) حيث يشكل جدعون نقطة المركز، و(ب) مع بدء رواية جدعون تصبح الروايات السردية أطول بكثير وأكثر تعقيداً بالمقارنة مع روايات القضاة الثلاث الأولى.

²³ المرجع السابق، 51.

²⁴ Webb, *The Book of Judges: An Integrated Reading*, 179.

ج. النقطة المركزية لرواية جدعون

واجه كل القضاة ماعدا أيمالك تهديداً أجنبياً، لكن لا يوجد تفاعل شخصي قوي بين القاضي والرب إلا في حالة جدعون. وتوحي هذه الملاحظة أن الرواية تقدم ما هو أكثر من مجرد قصة نصر لإسرائيل على المديانيين للأجيال المستقبلية. ومع أنه أمر صحيح أن شمشون رفع عدة صلوات سريعة، فلا يوجد إلا في حالة جدعون تركيز على إيمان القاضي وفهم دعوة الرب لحياته. "لا تتلقى أية شخصية في السفر تأكيداً إلهياً أكثر مما تلقى جدعون، ولا تظهر إحداها شكاً أكبر مما أظهر. وإنه لأمر ذو دلالة أن جدعون هو القاضي الوحيد الذي يتحدث إليه الله مباشرة، على الرغم من أن هذا الامتياز لا يخفف من جبنه.¹

تتبعكس دلالة هذه الملاحظات حتى في تركيب رواية جدعون. ليست مسألة كون جدعون قاضياً (أي منقذاً) من المديانيين هي العنصر المركزي للرواية. صحيح أن الله استخدمه فعلاً لهذا الغرض، لكن تركيز الرواية يرد في 6: 33-7: 18، حيث يعلق موضوع الإنقاذ بشكل مؤقت لإفساح مجال لتطور آخر. إن المسألة الرئيسية في رواية جدعون شيء آخر غير الإنقاذ ذاته. إنه شيء يأخذ الطابع الشخصي، أي جهاد جدعون لكي يصدق وعد الله.

د. جهاد جدعون لكي يؤمن بوعد الله

إن قضاة 6: 33-7: 18 مرتبة حسب النمط الموحد المركز التالي:

- أ قام جدعون الذي منحه الله قوة الروح بحشد أربعة أسباط ضد المديانيين، على الرغم من قلة إيمانه بوعد الله (6: 33-35).
- ب طلب جدعون علامة من الله على الجزة من أجل تثبيت الوعد بأن الرب سينصره على المديانيين (6: 36-40).
- ج مع رحيل الجبناء من بني إسرائيل، أوعز الله إلى جدعون بالذهاب إلى الماء من أجل مزيد من التقليص لقواته (7: 1-8).
- ج أوعز الله إلى جدعون الذي كان الخوف ما يزال يملكه بالنزول إلى مخيم العدو لاستراق السمع (7: 9-11).
- ب أعطى الله علامة لجدعون من حلم المدياني من أجل تثبيت الوعد بأن الرب سينصره على المديانيين (7: 12-14).

¹ Exum, "The Center Cannot Hold: Thematic and Textual Instabilities in Judges," 416.

أ سجد جدعون وعبد الله، ثم حشد قوة من 300 رجل للقيام بهجوم مفاجئ على المديانيين، واثقاً كلياً بوعد الله (7: 15-18).

إن تقليص جيش جدعون قصة مألوفة، غالباً ما تروى من منظور التوكيد على قدرة الله في الإنقاذ بكثيرين أو بقليلين. ومع أن هذا أمر صحيح، إلا أن هذا التفسير يظلم السياق. فالسياق يتناول صراعاً داخل جدعون نفسه. يبدو أن المشهد الأول من هذا القسم (6: 33-35) يبدأ بنعمة بسالة، إذ يقال في هذه الآيات إن روح الرب "لبس" لجدعون واستخدمه في حشد أسباط بني إسرائيل للمعركة. غير أنه يتوجب علينا الحذر هنا فلا نقرأ في هذا الحدث أكثر مما يقوله النص. يقول بلوك في تفسيره:

"يقال عن جدعون إن الروح "لبسه" (6: 34)، لكن لا يجب أن يفسر هذا بشكل مختلف عن أية حالة أخرى يقال فيها إن الروح حلّ على شخص. ولا يفترض مسبقاً أن هذا التعبير الذي يذكرنا بعدد 24: 3 (حيث ير بلعام، النبي من بلاد ما بين النهرين، بنفس الخبرة) أي مستوى معين من الروحانية في متلقي هذه الخبرة. بل على العكس من ذلك، يبدو أن التدخل الإلهي في الخبرة البشرية يصرّ بشكل حي سيطرة يهوه على أشخاص غير ميالين إلى حلّ مشاكل إسرائيل، وتأهيلهم للقيام بالمهمة التخليصية.²⁶ تعكس خدمة الروح في هذه الحالة مشيئة الله السيادية في تحريك الأشياء للإنقاذ أو التحرير الذي خطط له، ولا تعكس حالة جدعون الإيمانية أو الروحية. ولا شك أن جدعون تصرّف بطاعة عندما نفخ البوق واستدعى أسباط إسرائيل إلى القتال. لكن المشهد التالي (6: 36-40) الذي طلب فيه علامة مرتبطة بالجزء يكشف عيوبه.

لم يكن طلب جدعون علامة مرتبطة بالخبرة طريقة لمعرفة مشيئة الرب، بل كان تعبيراً عن الشك وقلة الإيمان: "وقال جدعون لله، إن كنت تخلص بيدي إسرائيل كما تكلمت، فماذا أضع جزّة الصوف في البيدر. فإن كان ظل على الجزّة وحدها، وجفاف على الأرض كلها، علمت بأنك تخلص بيدي إسرائيل كما تكلمت." (6: 36-37). اعترف جدعون نفسه بأنه قد عرف إرادة الله ووعدده، حيث إن ملاك الرب نفسه أوضح له هذا جيداً (6: 14-16)؛ تمثّلت مشكلته في قدرته على أخذ كلام الله مأخذ الجد.

نجد في 6: 33-7: 18 توتراً بين وعد الله ومشكلة جدعون في الإيمان، وهذه العناصر تؤكد حتى العناصر النبوية. فعلى سبيل المثال، تتحدث خمسة من المشاهد الستة عن موضوع الوعد في الفكرة المهيمنة، ألا وهي أن الرب سيسلم المديانيين إلى يد إسرائيل

²⁶Block. "The Period of the Judges: Religious Disintegration Under Tribal Rule," 52.

(6: 36؛ 7: 2، 7، 9، 14-15). وبالإضافة إلى هذا، فإن تكرار كلمة "خوف" יָרָא في أعماق مشهدين في بنية الرواية (7: 3، 10) يجعل منهما هدفاً خاصاً للاهتمام والتركيز.²⁷

إن تقليص جيش جدعون على أساس "الخوف" خلفيته في تشية 20: 8، "ثم يعود العرفاء يحاطبون الشعب ويقولون، 'من هو الرجل الخائف (יָרָא) والضعيف القلب (לֵבָבִיב)؟" ليذهب ويرجع إلى بيته لثلاً تذوب قلوب اخوته مثل قلبه." تتمثل السخرية الأدبية في هذه الوحدة من سفر القضاة في أن أحد الامتحانات التي يتقرر على أساسها استبعاد محاربي بني إسرائيل (أي الخوف، انظر قضاة 7: 3) هو نفس المشكلة التي يعاني منها القائد نفسه. وإن الصلة مع الآية 7: 10 التي تحدث فيها الرب إلى جدعون مثيرة: "إذا كنت خائفاً من النزول، فانزل أنت وفورة غلامك إلى المحلة." كانت المسألة إذاً هي إن كان جدعون نفسه يقدر أن يتغلب على خوفه الشخصي ليؤمن أن الرب سينصر إسرائيل على المديانيين. وفي هذه الحالة تبين أن التركيب مفيد حيث خدم المقاصد الرئيسية للراوي: مخلصاً جدعون من خوفه وعدم إيمانه ومقتناً إياه بأن الله سيفعل تماماً كما سبق أن وعد.

كشفت طلب جدعون علامة من الله وجود حرب في قلبه: كان خائفاً ومقتراً إلى الإيمان. وإنه لأمر مثير للاهتمام أن تقليص جيش جدعون في سياق النص يقع بين طلبه الذي لا موجب له وبين كشف الله لخوفه. ولهذا فإنه لم يقصد بتقليص الجيش أن يمجد الله (بإظهار قدرته على إقناذ إسرائيل بـ 300 رجل) بقدر ما قصد به أن يضع جدعون في موقف ينكشف فيه خوفه. وإن ذات الشيء الذي كان يأمل جدعون أن يحققه بعلامة الجزة - أي نوعاً من الاطمئنان الذاتي أن الأمور ستسير سيراً حسناً - كان هو ذاته السجادة التي سحبها الله من تحته. لقد سعى جدعون إلى الحصول على نوع من الأمان بالعلامة المرتبطة بالجزة. وعلى الرغم من أن الله استجاب لطلبه، فقد بادر فوراً إلى وضع جدعون في وضع يكون فيه أقل حصانة. إن وجد جدعون صعوبة في الثقة بأن الله سينصره باثنين وثلاثين ألف رجل

²⁷ يؤكد على فكرة الخوف لا بتكرار كلمة יָרָא فحسب، بل أيضاً بالاستخدام الفريد للكلمة ذات صلة יָרָא . وفي 7: 3، نجد تعليمات الله لاستبعاد الرجال الخائفين في الكلمات יָרָא יָרָא יָרָא . وتعني الصفة יָרָא "مرتعد" من الخوف، مع أن بومان يقول إن التركيز في بناء الجملة يقع على رعب الذعر (*Theological Dictionary of the Old Testament*, s. v. יָרָא by A. Bauman, 5 [1986], 167). وترجم معظم الترجمات هذه العبارة إلى: "من هو خائف ومرتعد، فليرجع"، على الرغم من أن بولنج يتعامل مع التعبير على أنه يعني "من هو خائف بكل ما في الكلمة من معنى". (Robert G. Boling, *Judges: Introduction, Translation, and Commentary*, Anchor Bible [Garden City, N. Y.: Doubleday, 1975, p. 144]. وفي أي من الحالتين، فإنه لا يمكن إغفال الصلة باسم المكان יָרָא في 7: 1. كاسم علم يرد יָרָא مرة واحدة فقط. ومهما كانت الصلة المعجمية المتعلقة بالمفردات) بالآية 3 (يترجم بولنج יָרָא יָרָא إلى "عين حرود" [المرجع السابق، 142])، فإنه يبدو أن الراوي يقصد التلاعب بالكلمات، أي أن نفس اسم المكان يذكر القراء بـ "الارتعاد المخيف" الذي جعلهم يتراجعون عن المعركة. يلاحظ ج. ر. درايفر التلاعب بالاسم، لكن يرفض فكرة أن יָרָא يسمى بهذا الاسم بسبب إعلان جدعون أن على الخائفين أن يغادروا المكان. (*Vetus Testamentum Supplement* 16 [1967]: 54-56). *Hebrew Homonyms* ويقول درايفر أن هنالك ثلاثة أو أربعة أصول مختلفة خلف الفعل العبري יָרָא .

على 135.000 مدياني، (انظر 8: 10)، فكيف سيكون رد فعله حين لا يكون معه إلا 300 رجل؟ في ضوء هذا الأمر يأخذ كلام الله في 7: 10 دلالة كبيرة.

هـ. حل مشكلة خوف جدعون

لقد أسفر ما سعى جدعون إلى الحصول عليه بواسطة علامة الجزة عن لا شيء. فاضطر إلى الرجوع إلى خيار تصديق وعد الله لمجرد أن الله تكلم. ولكي يساعد الله جدعون على رؤية هذا الأمر، أعد له علامة. ففي المشهد الخامس (7: 12-14)، أكد الله إرادته من خلال حلم شخص مدياني استرق جدعون إليه السمع، وسماعه مديانياً آخر يفسر له الحلم.

ونجد في قول المدياني "قد دفع الله إلى يده (جدعون) المديانيين وكل الجيش" تكراراً للوعد الذي قطعه الرب لجدعون مراراً، لكن الله سمح له الآن بأن يسمعه من شفطي جندي مدياني. والسخرية الأدبية هنا مذهلة: إذ لم يُتبع جدعون سماع الوعد من شفطي الرب مباشرة، لكنه اقتنع عندما سمع الوعد من الجندي المدياني.

يُظهر المشهد الأخير من هذا القسم (7: 15-18) أن استراق السمع إلى الحلم حقق التأثير المطلوب في جدعون: "وكان لما سمع جدعون خبر الحلم وتفسيره، أنه سجد" (الآية 15). ومن تلك النقطة فصاعداً كان جدعون شخصاً مختلفاً - كان رجل إيمان وشجاعة. وفي القسم الأخير من الآية 15 حث جدعون رجاله القليلين بقوله: "قوموا لأن الرب دفع إلى يدكم جيش المديانيين." خرج وعد الإنقاذ من فمه هذه المرة بثقة كاملة في الله. انتقل جدعون من الخوف إلى الإيمان، وهذا هو بالضبط الغرض من القسم 6: 33-7: 18.

و. علاقة التركيب أو البنية باللاهوت

لقد صيغ التنميط النصي في رواية جدعون بعناية، لا لإبراز عملية الإنقاذ من المديانيين، بل لإبراز التغيير الذي حدث في قلب جدعون، وهنا يكمن أعظم درس لاهوتي في هذه الأصحاحات. لقد منعه الخوف الكامن في قلبه من القدرة على الثقة بالوعد الذي أعطاه الله بتخليصه إسرائيل من المديانيين. ومن أجل التغلب على هذا العيب في حياة جدعون، عمل الله بشكل فريد لكي يكشف مشكلة الخوف في حياته ويأتي به إلى مرحلة العبادة والإيمان. وعندئذٍ فقط صار جدعون مستعداً لقيادة إسرائيل في المعركة. وتوجد ضمن هذا القسم المركزي من الرواية ستة مشاهد مؤلفة بكل عناية في ترتيب موحد المركز (أ ب ج ج ب أ) وكان نفس البنية تعكس الانقلاب الذي حصل في داخله. وفضلاً عن ذلك، فإن كل الصراعات في السفر تتج عن نقص الإيمان. ونحن نرى تعبيراً واضحاً عن هذا الصراع في رواية جدعون، وهو ما ينسجم مع هذا الحدث (صراعه الديني) الموضوع في منتصف السفر.

ومع أن حياة جدعون صارت مَحَبَّةً للآمال في نهاية الأمر (مثل حياة معظم القضاة والملوك الآخرين في تاريخ إسرائيل)، إلا أن نقطة التركيز في رواية جدعون من المنظور البنيوي يقدم نموذجاً لما يبحث عنه الله في قائد الأمة: فالله يريد قائداً يعبده ويأخذ كلمته على محمل الجد.

لم يتعلم جدعون هذا الدرس بسهولة. إذ قام الراوي - الذي أعطى نكهة للتأثير اللاهوتي الذي أحدثته الرواية التاريخية لقصة جدعون لقراءته - بتعليق رواية الإقناذ مؤقتاً لكي يسمح بإبطاء حركة تصوير المشهد والتركيز على جدعون كقائد. ويعمل التمنيظ الموحد المركز للنص مع وضع "فكرة الخوف" في مركز السفر²⁸ على إبراز استخدام الله لجدعون الإنسان كأداة لكي يبين رغبته في قائد شعبه عهده. وبهذا يترك الراوي للقارئ رسالة قوية: يجب أن يوصل الله خادمه إلى نقطة ينزع عندها منه كل ثقة بنفسه، حيث يجلس بصمت عابداً الله بخضوع بصفته القادر تماماً في كل الظروف المعاكسة على تحقيق مشيئته الإلهية. عندئذٍ فقط، يكون خادمه مستعداً للتحرّك إلى الأمام لتذوق نصر الله، مع أن النصر ليس أكثر ضماناً و يقينية من ذي قبل.

6. الاستنتاج

برهن قضاة إسرائيل (في ضعفهم وعجزهم المتكرر عن إقناذ إسرائيل) أنهم لم يكونوا أداة كافية يمكن لإسرائيل أن تغلب بواسطتها على المعتدين الأجانب. ولم يكن العيب بطبيعة الحال في عجز الرب عن حماية شعب، بل كان العيب هو ميلهم الدائم، بل والمتدهور، إلى الابتعاد عنه. وعلى الرغم من أن الله أقام منتقدين كانت لهم حاجة في وقت إقامتهم، فإنه كان يتحكم بشكل سيادي "بنوعية" القضاة الذين يقيمهم. فليس غريباً إذاً أن القسم الرئيسي الكبير لسفر القضاة لا يقدم لنا دورة منظمة أو متماثلة من الخطية - التآديب - التوبة - الإقناذ. تعكس هذه الدورات بشكل عام تدهوراً تدريجياً، حتى أن القارئ قد يسأل نفسه قبل مجيء جدعون إن كانت هنالك أية قيمة أصلاً لوجود قاضٍ. وهذا هو تماماً الانطباع الذي أراد الراوي أن يتركه، وهذا هو ما يجعل خاتمة السفر ملائمة جداً. وقبل أن يصل القارئ إلى نهاية رواية شمشون، يتوجب عليه أن يدرك أن "قاضياً" آخر لن يكون حلاً لمشكلة الأمة. لقد كان الراوي، في توقُّعه لما سيأتي في 1 صموئيل بتوبيخ الملك، يستخدم بشكل صريح خاتمة مزدوجة لسفر القضاة (7-21) لكي يعزز هذه النقلة من حكم ثيوقراطي (يستخدم قضاة) إلى حكم ملكي. وكما هو مذكور أربع مرّات في سفر القضاة: "وفي تلك الأيام لم يكن ملك في إسرائيل" (17: 6؛ 18: 1؛ 19: 1؛ 21: 25). كان القضاة مخيبين للأمل (كما كان حال جدعون نفسه أيضاً في نهاية الأمر). لكن توجد في قلب دورات القضاة حقيقة لاهوتية للصفات التي يسعى إليها الله في القادة: إنه يرغب في قادة يعبدونه ويأخذون كلمته على محمل الجد، وملتزمين بفعل مشيئته كلها. ومع أخذ الملوك لمركزهم كحكام على الأمة، سننوق منهم نفس الأمر أيضاً. فكم هو أمر ملائم أن يوضع هذا الدرس الدائم بشكل استراتيجي (من خلال التمنيظ النصّي) في قلب سفر القضاة - ليس في رواية جدعون فحسب - لكن في النقطة المركزية في الرواية أيضاً.

²⁸ يحتوي عنصر ج و ج من النمط الموحد المركزي ل (6: 33-7: 18) على تكرار لكلمة خوف ٤٦٦ من شأنه أن يكشف مشكلة جدعون الشخصية بشكل قتي رائع.